الفصل السابع

٤ فبراير سنة ١٩٤٢

الملك يستدعى ممثلى الأحزاب فى ٣ فبراير – النحاس (باشا) يرفض تأليف وزارة قومية – الإنذار البريطانى صباح ٤ فبراير – الملك يستدعى الزعماء – الرسالة الملكية – النحاس (باشا) يقول إنه لم يكن يعلم شيئاً مما حدث ويصر على أنه يؤلف الوزارة إذا عهد إليه الملك فى تأليفها – رفضه كل اقتراح يخالف هذا الرأى – تقرير المجتمعين أن توجيه الإنذار إخلال كبير بالمعاهدة المصرية الإنجليزية وباستقلال مصر فلا يسع الملك قبوله – النحاس (باشا) وزيور (باشا) يوقعان القرار بعد زملائهما – رئيس الديوان يقابل السفير – محاصرة قصر عابدين بالقوات والدبابات البريطانية – السفير وقائد القوات البريطانيه يقابلان الملك – الملك يقبل الإنذار ويكلف النحاس (باشا) بتأليف الوزارة .

لا يدهش القارئ إذ يرانا نفرد فصلا مستقلا ليوم واحد ، بل لساعات من ذلك اليوم . فيوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ من الأيام الحالكة السواد فى تاريخ مصر ، وفى تاريخ إنجلترا فى مصر . هو يوم يؤرخ الناس به كما يؤرخون بيوم دنشواى ، أو بموقعة التل الكبير ، أو بضرب الإسكندرية ، أو بمثل هذه الأيام التى لا تمحى ذكراها على الأجيال ، بل تبقى وكأنها الكلَف الأسود فى وجه الشمس المضىء ، أو الخسوف الذى يطمس وجه القمر ليلة تمامه بدراً .

لا ينسى الناس على تعاقب الأجيال هذه الذكريات المزعجة ، وإن اضطروا إلى تناسيها بحكم حاجات الحياة . فإذا ذكروها وذكروا أبطال مآسيها ، تقززت نفوسهم غضباً ، وودوا لو يستطيعون نبش القبور التى تحوى رفات هؤلاء الذين لطخوا تاريخ أوطانهم بالعار ، وجللوا أعلامها بالسواد .

ولا أريد أن أزيد على سرد حوادث ذلك اليوم ، واليوم الذى سبقه ، فى بساطة ومن غير تعليق . فليست هذه الحوادث فى حاجة إلى تعليق عليها أو تضخيم لها . سياقها وحده يكفى ليبرزها واضحة ناطقة . ويشهد بما كان لها ، من بعد ، من أثر فى تطور الحوادث تطوراً لم يكن عسيراً على أبطال هذا اليوم أن يقدروه ويتوقعوه .

وأعترف بأننى لم أستطع ، برغم انقضاء عشر سنوات على ذلك اليوم المشئوم ، أن أجلو

كل أسراره ، برغم ما بذلت من محاولات لهذا الغرض . ولعل ذلك يرجع إلى أننى قدرت ، ولا أزال أقدر ، أن أبطال ٤ فبراير كانوا يفكرون بعقولهم ، والواقع أنهم كانوا يفكرون بأعصابهم المتوترة المضطربة ، ومن ثَمَّ بدت تصرفاتهم وكأنها تنطوى على أسرار غير معروفة ، على حين أنها لا تنطوى على سر غير ذلك الاضطراب العصبى الذى أغفل كل معنى من معانى الكياسة وحسن السياسة .

وقد كان من حظى أن تابعت أحداث ذلك اليوم والأيام التى سبقته ، وشاركت فى أطوارها ؛ لأن رئيس الأحرار الدستوريين ، عبد العزيز (باشا) فهمى ، كان قد لزم داره لمرض ألم به وطال عليه ، وكان قد أنابنى عنه فى رياسة الحزب ، فكنت المتكلم باسم الأحرار الدستوريين فى هذه الساعات التاريخية العصيبة .

* * *

لما قدمت وزارة سرى (باشا) استقالتها ، فى ٢ فبراير سنة ١٩٤٢ ، تطلع الناس من كل صوب إلى ناحية القصر ، يريدون أن يعرفوا من ذا يقع عليه اختيار الملك ليؤلف الوزارة الجديدة . وفى صباح اليوم الثالث من فبراير ، نشرت الصحف أن الملك استدعى رؤساء الأحزاب والمتكلمين باسمها : مصطفى النحاس (باشا) رئيس الوفد المصرى ، وأحمد ماهر (باشا) رئيس الهيئة السعدية ، وحلمى عيسى (باشا) رئيس حزب الاتحاد ، وحافظ رمضان (باشا) رئيس الحزب الوطنى ، وإياى نائب رئيس الأحرار الدستوريين . ولما كان البرلمان القائم يومئذ ليس فيه للوفد إلا أقلية لا تبلغ الخمسة عشر نائباً ، وكانت كثرته للأحرار الدستوريين وللسعديين ، فقد كان المتوقع أن يكلف الملك مصطفى النحاس (باشا) أو الدكتور أحمد ماهر (باشا) بتأليف الوزارة الجديدة ، على أن تكون وزارة ائتلافية تضم الأحزاب كلها جهد المستطاع . وكان بعضهم يستبعد أن يكلف الدكتور ماهر (باشا) بتأليف الوزارة لمرضه الذى أشرنا إليه فى ختام الفصل السابق .

وكان موعد المقابلة الملكية بعد الظهر ، وكان النحاس (باشا) وماهر (باشا) قد سبقانى إلى التحدث إلى الملك . فلما أذن لى بالدخول فى غرفة المكتب الملكى بقصر عابدين حيانى الملك بقوله : هذه أول مرة تحدثنى فيها باسم الأحرار الدستوريين ، وأنا مسرور للقائك ؛ وقد عرفت رأيك مفصلاً من حسنين ، وأنك ترى تأليف وزارة قومية ولو برياسة النحاس (باشا) . فشكرت للملك تحيته ، وقلت : أرجو أن يكون النحاس (باشا) قد قبل تأليف وزارة قومية من جميع الأحزاب ؟ قال الملك : لقد حدثته فى ذلك طويلا أريد

إقناعه ، ولكنه لم يقتنع بعد . وقد أراه غداً كرة أخرى . قلت : لعل الدكتور ماهر (باشا) قد أبدى رأيه « لجلالتكم » فى هذا الأمر ؟ وقال الملك : أنت تعرف الدكتور ماهر ، وأنه متحدث لبق . وقد أفاض فى الكلام عن الموقف . قلت : أرجو على كل حال ألا ينقضى هذا المساء قبل أن تتألف الوزارة الجديدة ، فالموقف يقتضى الإسراع فى تأليفها ، وألا تبقى البلاد فى هذا الظرف الدقيق بغير وزارة . قال الملك : لعلى أستطيع أن أقنع النحاس (باشا) غداً ، قلت : أخشى ألا يحتمل الموقف التأجيل إلى غد . فابتسم الملك وقال بالفرنسية : لكنى لا أصنع المستحيل ؛ وأجبت : إذا كان فى هذا البلد من يستطيع أن يصنع المستحيل فذلك هو (جلالة) الملك . وكم كنت أود لو أن مكرم عبيد (باشا) دعى مع النحاس (باشا) ، فله عليه تأثير بالغ . قال الملك : سآمر بدعوة مكرم غداً ، ولا تبالغ فى مخاوفك ، فستمر هذه الأزمة الوزارية كما مرت غيرها من قبل ، وسنجد رئيس الوزارة الجديدة على نحو ما وجدنا حسن صبرى ثم حسين سرى .

شعرت بأن اللياقة تقتضينى أن أمسك بعد هذه العبارة عن الكلام فأمسكت ، فاعتدل الملك ثم قام علامة الإذن بالانصراف . وانصرفت وقصدت من فورى إلى مكتب حسنين (باشا) فسألنى عما دار من حديث فقصصته عليه ، فطمأن مخاوفى وذكر لى أن الأمر سينتهى إلى تأليف وزارة قومية تواجه الموقف ، فذلك ما أشار به جميع الذين قابلوا الملك ، وذلك رأى الملك كذلك .

وعدت إلى دارى وقضيت الليل أفكر فيما يتنفس عنه صبح ٤ فبراير . وكانت الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم حين خاطبنى أحمد (باشا) عبد الغفار تليفونيًّا من كلوب محمد على ، يستعجل ذهابى إلى هناك ، ويخبرنى أن إنذاراً بريطانيًّا قد أبلغ إلى الملك ، وأنه لا يعرف صيغة هذا الإنذار ولا فحواه . وأسرعت بالذهاب إلى « الكلوب » فألفيته يموج بأعضائه على غير عادة ، ولمحت على وجوههم جميعاً سيما التفكير والحيرة ممزوجين بشىء من الوجل . وأخبرنى أحمد (باشا) عبد الغفار كرة أخرى أن أحداً لا يعرف ما ينطوى عليه الإنذار البريطانى ، ولكنه علم أن الملك أمر بدعوة أصحاب الرأى من المصريين وبينهم رؤساء الأحزاب للاجتماع بقصر عابدين بعد الظهر من ذلك اليوم .

حرصت على أن أقف على شىء من التفصيل فى أمر الإنذار والدعوة للاجتماع بالقصر ، لأروّى فى الأمر خلال الساعات الباقية على هذا الاجتماع ؛ فاتصلت تليفونيًّا بحسنين (باشا) فى مكتبه بعابدين وسألته عن الإنذار فأجابنى بأنهم لم يفرغوا بعد من ترجمته . ولما طلبت إليه أن يتلوه علىّ بالإنجليزية اعتذر مرة أخرى بأنه يترجم ، وأنه متى تمت ترجمته سيخاطبنى

فى نادى محمد على ويبلغنى نصه . وخيل إلىّ من هذا الحديث أن الإنذار مطول ، فاكتفيت بما سمعت وانتظرت مع إخوانى ، نتبادل ألواناً من الحدس فيما عسى أن يكون ذلك الإنذار ، وما عسى أن يتمخض عنه .

وانقضى الوقت إلى مابعد منتصف الساعة الثانية بعد الظهر ، ولم يتصل بى حسنين (باشا) من جديد . ولم أفكر فى طلبه كرة أخرى ظنًّا منى أن الأمر سر ، وأن اعتذاره الأول بأن الإنذار لم يترجم إنما أريد به الاحتفاظ بهذه السرية . وعدت إلى منزلى فألفيت به رسالة تليفونية تدعونى إلى الاجتماع الذى يعقد بقصر عابدين الساعة الثالثة بعد الظهر .

وذهبت إلى القصر فبلغته قبل الموعد المضروب ، وهناك ألفيت فى قاعة الانتظار بالطابق الأرضى جماعة ممن وجهت إليهم الدعوة ، بينهم محمد (بك) محمود خليل رئيس مجلس الشيوخ والدكتور أحمد ماهر (باشا) رئيس مجلس النواب . ولقد علمت مما كتبه بعض المؤلفين الإنجليز من بعد أن محمد (بك) محمود خليل كان ممن فكر الملك فى أن يعهد إليهم بتأليف الوزارة خلفاً لحسين سرى (باشا) : لكننى لم أكن أعلم شيئاً من ذلك حين لقيته بالقصر فى ذلك اليوم . وقد وقف إلىّ يحدثنى فى الأزمة التى دعينا للتشاور فى أمرها ، وفى الإنذار الذى وجهه السفير البريطانى إلى الملك . فلما سألته عما يحتوى عليه هذا الإنذار أخبرنى أنه لا يعرف على وجه التحديد ما هو ، وأنه سمع أن الإنجليز يصرون على أن يعهد بتأليف الوزارة إلى مصطفى النحاس (باشا) . وسألته رأيه فى الأمر فكان جوابه أن الملك فوق المسئولية ، وأنه لا يجوز أن يتولى بنفسه الرد على هذا الإنذار ، وأن الوضع الدستورى السليم يقضى بأن يعهد الملك إلى من يشاء بتأليف الوزارة ويصدر إليه أمره كتابة بذلك . وعلى هذا السياسى أن يتولى قبل تأليف الوزارة مواجهة الإنجليز والتفاهم معهم فى شأن الإنذار .

ربما كان هذا الوضع سليماً من الناحية الدستورية . ولعله كان يؤدى إلى النتيجة المرجوة لو أن اختيار الرئيس الذى يعهد إليه بتأليف الوزارة تم إثر تقديم سرى (باشا) استقالته . عند ذلك كان هذا الرجل يستطيع أن يقابل السفير البريطانى قبل تأليفه الوزارة وأن يتفاهم معه ، على نحو ما فعل حسن صبرى (باشا) على أثر استقالة على ماهر (باشا) . لكن الأمور سارت فى غير هذا الطريق من قبل أن يقدم سرى (باشا) استقالته . فقد عرف الإنجليز نبأ هذه الاستقالة فى اليوم الأول من فبراير ، حين أبلغ سرى (باشا) رئيس الديوان أنه يعتزم تقديم هذه الاستقالة غداة ذلك اليوم . وقد اتصل السفير البريطانى برئيس الديوان يومئذ ، وأبلغه أنه علم بأن سرى (باشا) سيقدم استقالته فى الغد ، وأن الحكومة البريطانية تحرص

على أن تعرف اسم من سيعهد إليه بتأليف الوزارة الجديدة قبل تأليفها . وقد أخبرنى حسنين (باشا) أنه أجاب على هذا الكلام بأنه يؤكد للسفير البريطانى أن الرجل الذى سيؤلف الوزارة سيكون صديقاً لإنجلترا . لكن السفير أصر على أن الحكومة البريطانية ترى فى ظروف الحرب القائمة ، ومن غير أن تهتم بالتدخل فى شئون مصر الداخلية ، أن من حقها أن تعرف سلفاً من سيعهد إليه بتأليف الوزارة قبل أن يكلف بهذا التأليف رسمياً . ولقد أصر السفير البريطانى على طلبه هذا برغم ماكرره له رئيس الديوان من أنه سيراعى فى اختيار الرئيس الجديد أن يكون صديقاً لإنجلترا .

فلما دعا الملك ممثلى الأحزاب بعد الظهر من يوم ٣ فبراير يستشيرهم فى الموقف ، ولم يقبل النحاس (باشا) تأليف وزارة قومية ، دعا السفير البريطانى رئيس الديوان فى الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم ، وأبلغه أنه علم أن النحاس (باشا) لم يقبل تأليف وزارة قومية ، وأن إنجلترا ترغب فى أن يؤلف النحاس (باشا) الوزارة الجديدة على أية حال . ورأى الملك فى هذا التصرف من جانب السفير البريطانى تدخلاً فى أخص خصائصه الدستورية ، فلم يبلغ رئيس الديوان السفير أن رغبته فى تأليف النحاس (باشا) الوزارة الجديدة أجيبت . لهذا كان الإنذار الذى دعينا للتشاور فى أمره .

ورأى الملك فى هذا الإنذار افتئاتاً صارخاً على سيادة مصر فلم يرد أن ينفرد فيه برأى . ولم يكن هذا الحل الدستورى الذى اقترحه محمد (بك) محمود خليل ليغير من هذا الواقع شيئاً ، ولن يزيد على اختيار رجل يكون الوسيط بين الملك والسفير . ذلك لأن رئيس الوزارة فى ظل دستورنا المصرى ، والأنظمة الغربية المشابهة له ، لا يصبح مسئولا دستورياً حتى يصدر المرسوم الملكى بتأليف الوزارة . فإذا لم يصدر هذا المرسوم لأن الرئيس الذى اختاره الملك لم يستطع أن يؤلف الوزارة لسبب من الأسباب ، لم يكن هذا الرئيس مسئولا دستورياً ولا يملك لذلك أن يباشر عملا من أعمال الحكم .

دعينا قبيل منتصف الساعة الرابعة للاجتماع بقاعة مجلس البلاط فى قصر عابدين . وكان الاجتماع مؤلفاً من رئيسى الشيوخ والنواب ، ومن رؤساء الوزارة السابقين ، ومن ممثلى الأحزاب ، ومن أعضاء هيئة المفاوضة فى معاهدة سنة ١٩٣٦ . فلما اكتمل عقدنا حول المائدة الكبيرة فى هذه الغرفة دخل الملك علينا يتبعه رئيس الديوان . وبعد أن جلس الملك أذن لنا فى الجلوس فجلسنا بالبروتوكول الآتى :

(أصحاب المقام الرفيع) شريف صبرى (باشا) ومصطفى النحاس (باشا) وعلى ماهر

(باشا) و (أصحاب الدولة) أحمد زيور (باشا) وإسماعيل صدقى (باشا) وعبد الفتاح يحيى (باشا) وحسين سرى (باشا) و (أصحاب المعالى والسعادة) بهى الدين بركات (باشا) وأحمد ماهر (باشا) وحافظ رمضان (باشا) ومحمد محمود خليل (بك) وتوفيق رفعت (باشا) ومحمد حسين هيكل (باشا) وحافظ عفيفى (باشا) وعلى الشمسى (باشا) وحلمى عيسى (باشا) ومحمود حسن (باشا) كبير المستشارين الملكيين .

وأذن الملك رئيس ديوانه فألقى علينا البيان التالى باسم الملك :

عندما واجهت البلاد هذه الساعات الخطيرة التى يجتازها العالم ناديت ، ونادى الشعب معى ، بوجوب اتحاد الجميع لمواجهة الصعوبات التى تقوم فى طريقنا . وكنت أرى أن أوقات الشدة يجب أن تعلمنا أن ننسى أشخاصنا وندفن الماضى لنبدأ عهداً جديداً نكون فيه كتلة واحدة ، وأمة واحدة ؛ ذلك لأننى أعلم أنه ما من خير أصاب هذه البلاد إلا وهى متحدة ، وما من شر أخاق بها إلا وهى متفرقة الكلمة .

وبدأت منذ أمس أستدعى بعضكم وكنت عازماً على أن أستدعى البعض الآخر اليوم لأشرح لكم وجهة نظرى ولأدعو الجميع إلى تأليف وزارة قومية ؛ وكنت أعتقد أن كلا منكم يضحى شيئاً قليلا لتكسب البلد شيئاً كثيراً ، وكنت على ثقة من أنكم ستلبون دعوتى . ففى الساعات الخطيرة يجب أن ننسى أشخاصنا ولا نذكر إلا بلادنا .

ولكن قبل أن نبدأ المشاورات أمس « الثلاثاء » طلب إلىَّ السفير البريطانى ظهر يوم الاثنين أن أستدعى النحاس (باشا) وأكلفه أن يؤلف الوزارة أو أن أقبل من يقترحه النحاس (باشا) رئيساً للوزارة .

وحدد السفير البريطانى الساعة الثانية عشرة ظهر الثلاثاء موعداً أستقبل فيه النحاس (باشا) .

فأجبت السفير على ذلك بأننى كنت قررت فعلا ، وقبل وصول هذا الطلب أن أستدعى النحاس (باشا) ورؤساء الأحزاب والزعماء لاستشارتهم فى تأليف وزارة قومية تواجه صعوبات البلاد الداخلية والخارجية ، وبذلك نحقق رغبة الشعب ، ونجمع مصر فى كتلة واحدة ، ووزارة واحدة .

وانتهت مشاورات أمس . . . وعلى أثرها مباشرة طلب السفير البريطانى مقابلة رئيس الديوان وأخبره أنه علم أن النحاس (باشا) رفض فكرة الوزارة القومية ؛ وطلب السفير من رئيس الديوان أن يرفع إلىَّ نصيحة أن أكلف النحاس (باشا) بتأليف وزارة وفدية .

فرد عليه رئيس الديوان قائلاً : إن المسألة لا تزال تبحث مع النحاس (باشا) ورؤساء الأحزاب ، وإن المباحثات جارية لتأليف وزارة قومية ؛ وأن الملك واثق مـن أن وطنية

الزعماء ستتغلب على كل شيء وسيقبلون النزول على رغبة البلاد .

واليوم طلب السفير البريطانى مقابلة رئيس الديوان وسلمه إنذاراً هذا نصه :

« إذا لم أعلم قبل الساعة السادسة مساء أن النحاس (باشا) قد دعى لتأليف وزارة فإن الملك فاروقاً يجب أن يتحمل تبعة ما يحدث » .

إننى دعوتكم اليوم لأستشيركم فى هذا الموقف ، وإننى واثق من أن رأيكم ستمليه عليكم الوطنية والحكمة ، وأنكم ستجلسون هنا بصفتكم مصريين وترجون الخير والكرامة والسعادة لهذه البلاد (١) .

* * *

دهشنا للهجة الإنذار البريطانى وإيجازه ؛ وسألت نفسى وأنا أسمع صيغته : ما الذى دعا رئيس الديوان ليخفى عنى أمره حين سألته فى الصباح من كلوب محمد على عن مضمونه ؟

وبعد أن فرغ رئيس الديوان من تلاوة الرسالة الملكية تكلم الملك الشاب الذى لم يكن يومئذ قد أتم الثانية والعشرين من سنه ، فقال : « لقد دعوتكم لتتداولوا فى الموقف بعد أن سمعتم الآن تفاصيل ماحدث . وأطلب إليكم أن تقصدوا بمداولاتكم إلى مصلحة مصر وحدها وألا تجعلوا لأى اعتبار آخر حساباً . إننى مستعد فيما يتعلق بشخصى أن أضحى بكل شيء ، فلا شيء يعنينى غير مصلحة مصر وكرامتها واستقلالها » .

تركنا الملك بعد أن ألقى هذه العبارات . ولم يستطع الحاضرون أن يخفوا إكبارهم لما انطوت عليه من نبل ومن عاطفة وطنية سامية غاية السمو ، بلغ سموها أن أثار الإكبار غاية الإكبار فى نفوسنا جميعاً ، وأن علق عليها إسماعيل صدقى (باشا) وأحمد ماهر (باشا) بما هى جديرة به من إعظام وإجلال .

فلما فرغنا إلى مداولاتنا طلب النحاس (باشا) الكلمة ، وقال إنه يود قبل بدء المناقشات أن يذكر أنه ساعة حضر هذا الاجتماع لم يكن يعرف شيئاً مما حدث وجاء ذكره فى الرسالة الملكية . فهو لم يكن يعلم أن الإنجليز طلبوا أن يعهد إليه بتأليف الوزارة ، ولم يكن يعلم أنهم طلبوا إلى رئيس الديوان بعد مقابلة الملك أمس ملحين فى ضرورة إسناد الوزارة إليه ، ولم يكن يعلم بهذا الإنذار الأخير ولم يسمع به إلا وهو فى طريقه إلى القصر إجابة لدعوة الملك

---

(١) وهذا نص الإنذار بالإنجليزية :

Unless I hear by 6 P. M. that Nahas Pasha has been asked to form a Cabinet, His Majesty King Farouk must accept the consequences.

إياه كى يشهد هذا الاجتماع . أما وذلك موقفه فإنه لا يرفض تأليف الوزارة إذا عهد إليه الملك فى تأليفها .

سمع الحاضرون عبارات رئيس الوفد المصرى وعلى ثغر بعضهم ابتسامة ذات مغزى ، معناها : يكاد المريب يقول خذونى ؛ فلو أن النحاس (باشا) لم يكن يعلم شيئاً من هذا الذى قال إنه لا يعلمه ، لكانت النتيجة المنطقية المترتبة عليه : أنه وقد عرف ما كشفت عنه الرسالة الملكية ، فإنه يرفض أن يؤلف الوزارة ولو دعاه الملك لتأليفها ، حتى لا يكون الملك قد أكره على ذلك من جانب الحكومة البريطانية إكراهاً يتنافى مع خصائص الملك الدستورية . أما أن يقول إنه لم يكن يعرف هذه الوقائع ، وإنه مستعد بعد أن عرفها لتأليف الوزارة إذا عهد إليه الملك فى تأليفها ، فمعنى ذلك فى أيسر صوره أنه لا ينكر على الإنجليز حقهم فى هذا التدخل ، ولا ينكر توجيههم الإنذار إلى الملك ، وأنه غير مستعد لأية تضحية فى سبيل رد هذا الإنذار على الذين وجهوه إلى صاحب العرش . هذا إذا صح أنه لم يكن يعرف . أما إن كانت عبارته أنه يؤلف الوزارة إذا عهد إليه الملك فى تأليفها تفيد أنه كان يعرف ما اشتملت عليه الرسالة الملكية ، وأن الإنجليز لم يوجهوا إنذارهم إلا لأنهم اتفقوا مع النحاس (باشا) أن يتولى الوزارة بأمرهم ، فذلك ما لم يكن يرضاه لنفسه أحد من الذين ارتسمت على ثغورهم هذه الابتسامة ، بل لم يكن أحد منهم يرضاه للنحاس (باشا) وهو زعيم من زعماء مصر .

ساد الصمت هنيهة بعد كلام النحاس (باشا) ، ثم تكلم الدكتور أحمد ماهر (باشا) قائلا : « إننا نعرف وطنية النحاس (باشا) وحرصه على استقلال بلاده وسيادتها . وهذا الإنـذار الذى وجهته الحكومة البريطانية إلى الملك ضربة قاضية على هذا الاستقلال . ولا سبيل إلى رد هذه اللطمة إلا أن يرفض النحاس (باشا) تأليف الوزارة ، وأن يرفضها بسبب هذا الإنذار . فأنا أرجوك يا (رفعة الباشا) وأهيب بوطنيتك أن تنقذ استقلال بلادك وسيادتها . فأنت الذى تستطيع ذلك وحدك الآن . ولو أنك فعلت لحققت لمصر خيراً ، ليس كثيراً على ماضيك وعلى وطنيتك وعلى إخلاصك لبلادك أن تحققه » .

وكرر النحاس (باشا) فى رده على هذا الكلام ، أنه لا علم له بهذا الإنذار ، وأنه لا يتلقى أمراً بتأليف الوزارة إلا من الملك ، فإذا عهد إليه الملك فى ذلك فإنه لا يتردد فى تأليف الوزارة .

عند ذلك تكلم أحمد زيور (باشا) فنصح بقبول الإنذار ، وأن تشير الهيئة على الملك

بذلك اتقاء ما هو شر منه . فليس طبيعيًّا أن توجه الحكومة البريطانية مثل هذا الإنذار ، ثم لا ترتب على رفضه نتائج معينة قدرتها وأعدت لها عدتها . والنحاس (باشا) يعلم هذا كما نعلمه جميعاً .

وكرر النحاس (باشا) من جديد أنه لا يعرف شيئاً مما يشير إليه زيور (باشا) وأنه مستعد لتأليف الوزارة إذا عهد إليه الملك فى ذلك .

رأيت المناقشة لإقناع النحاس (باشا) برفض تأليف الوزارة غير منتجة ، بعد أن كرر الرجل غير مرة أنه لا يتردد فى تأليفها إذا عهد إليه الملك فى ذلك . فقلت : لقد عرض الملك أمس على النحاس (باشا) أن يؤلف وزارة قومية على نحو ما جاء فى الرسالة الملكية التى تليت علينا . فإذا أجاب النحاس (باشا) هذا الطلب اليوم ، بعد أن كان قد رفضه أمس ، كان ذلك حلا كريماً للموقف ، وكان رفض الإنذار على أساسه مأمون العاقبة ، ثم كانت فيه المحافظة كل المحافظة على سيادة مصر واستقلالها وكرامتها .

شعرت بأن بعض الحاضرين رأى فيما عرضته مبالغة فى مجاملة النحاس (باشا) ، وأنه كان يود أن يترك النحاس (باشا) يواجه الموقف وحده ؛ فشخصه هو الذى يدور عليه الإنذار وتدور حوله الأزمة التى اجتمعنا لمعالجتها . لكن النحاس (باشا) لم يدع لأحد فرصة مناقشة الرأى الذى أبديته . فقد أسرع إلى رفض هذا الرأى ، وقال فى صراحة : إنه لا يقبل تأليف وزارة قومية ، أو وزارة مؤتلفة ، أو وزارة غير حزبية أيًّا كان لونها .

ولقد سأله حسين سرى (باشا) عن السبب فى رفضه تأليف وزارة قومية فكان جوابه : لقد جربت هذه الوزارات غير الحزبية مرة ولا أريد أن أعود إلى تجربتها ، ولا أرى ضرورة لذكر الأسباب التى أقنعتنى بهذا الرأى . وألح عليه سرى (باشا) لعله يذكر الأسباب فلم يفعل . عند ذلك اقترح بعض حضرات أعضاء الهيئة ألا يشترك مع النحاس (باشا) فى هذه الوزارة القومية غير وزير واحد من كل حزب ، ليكون ذلك استجابة منه لما عرضه الملك عليه أمس . مع هذا لم يقبل . وعرض شريف صبرى (باشا) أن تتألف وزارة إدارية تحل مجلس النواب وتجرى انتخابات جديدة ، ومتى فاز الوفد فيها بالأغلبية ألف النحاس (باشا) وزارته الحزبية . وأيد شريف (باشا) رأيه بأن تأليف وزارة إدارية لإجراء الانتخابات قد كان من سياسة الوفد التى جرى عليها فى جميع الظروف .

رفض النحاس (باشا) هذا الاقتراح كذلك بحجة أن الموقف اليوم غير الموقف فى ظروف سابقة . فقيل : إذن يؤلف النحاس (باشا) وزارة يشترك فيها كل حزب ولو بوزير

واحد ، وتجرى هذه الوزارة الانتخابات ، ومتى أسفرت الانتخابات عن أغلبية وفدية عدل النحاس (باشا) وزارته وجعلها حزبية صرفاً . ولن يستغرق إجراء الانتخابات غير شهرين اثنين تتألف بعدها الوزارة الوفدية الحزبية .

رفض النحاس (باشا) هذا الاقتراح ، ورفض كل اقتراح عرض عليه ، وتشبث بعبارته التى قالها فى مستهل الاجتماع من أنه يؤلف الوزارة إذا عهد إليه الملك فى تأليفها . تشبث بهذا الوضع على الرغم مما كان يقال له من أن القصد من الاقتراحات الأخرى هو مواجهة الإنذار البريطانى مواجهة تمكن الملك أو تمكن الوزير الذى يعهد إليه بتأليف الوزارة من أن يرفضه .

استغرقت المناقشات فى هذا الموضوع أكثر من ساعتين نبهنا بعدهما حسنين (باشا) إلى أن الموعد المحدد فى الإنذار ، وهو الساعة السادسة قد اقترب . وكنا قد اقتنعنا جميعاً بأن المناقشة غير منتجة ولا مجدية نفعاً . فالنحاس مصمم على ما قاله منذ بدأنا الحديث من أنه يؤلف الوزارة إذا كلفه الملك بتأليفها ، مصمم على رفض كل اقتراح يعرض عليه تفادياً للإنذار . لهذا انتقلنا من البحث العملى لمواجهة الموقف ، بعد أن يئسنا من إمكان إنتاجه ، إلى بحث نظرى فى قيمة الإنذار الفقهية . ورأينا أن الإنذار يتنافى مع استقلال مصر وسيادتها ووضعنا فى ذلك قراراً مكتوباً .

ولم يطل النحاس (باشا) التفكير حين تليت صيغة هذا القرار ، بل قال : أنا موافق عليه وأوقعه معكم . أما زيور (باشا) فتردد فى التوقيع حتى بعد أن وقع النحاس (باشا) ، فلما علم أن النحاس (باشا) مصمم على رأيه من أنه يؤلف الوزارة إذا عهد إليه الملك بتأليفها وقع هو كذلك .

وحمل رئيس الديوان الملكى ، أحمد محمد حسنين (باشا) ، هذا القرار وذهب به إلى السفارة البريطانية بعد أن طلب إلينا أن ننتظر عودته منها . وانتظرنا طويلا . فلما تجاوزت الساعة السابعة عاد إلينا يقول إنه سلم قرارنا للسفير ، سير مايلز لامبسون ، وأن السفير قال له : سأوافيكم برأيى فى الساعة التاسعة ، وقد أبلغكم أننى لا أحضر ، وقد أبلغكم نبأ آخر .

وحاولنا أن نستشف من حسنين (باشا) ما قد يكون فهمه من اتجاه السفير ، معتقدين أن ما دار بينهما من حديث ربما يكون قد نمَّ عليه . لكن حسنين (باشا) أكد لنا أنه لم يستطع برغم المحاولات التى بذلها أن يتبين شيئاً ، وأنه حاول جهده أن يصرف السفير عن المضى فى إجراء قد يفسد علاقات الدولتين فلم يظفر منه بجواب . ثم قال : إن الملك يأذن لنا فى

الانصراف على أن يترك كل منا رقم تليفونه ، فقد يقتضى الأمر دعوتنا من جديد .

وانصرفنا جميعاً وعدت إلى منزلى ؛ وجعلت أفكر فيما عسى أن يكون الساعة التاسعة . ترى أيكتفى السفير البريطانى بهذا القرار الذى وقعه النحاس (باشا) معنا احتجاجاً على الإنذار البريطانى العنيف ؟ وهل ظن السفير أن هذا الاحتجاج ربما أدى إلى عدول النحاس (باشا) عن تأليف الوزارة ، وأن هذا الظن هو الذى دعاه ليقول إنه قد لا يحضر الساعة التاسعة ؟ وإذا صح هذا ، أفما كان الأفضل أن نبقى جميعاً بالقصر حتى لا تتاح للسفير فرصة جديدة للاتصال بالنحاس (باشا) عن طريق مباشر أو غير مباشر ؟ وإذا كان السفير سيبلغ القصر نبأ آخر غير عدم الحضور ، فما عسى أن يكون هذا النبأ ؟ لقد علمت أن (الأمير) محمد على ولى العهد دعى لحضور اجتماعنا بقصر عابدين ، فقيل لمن تحدث إلى قصره إن (الأمير) ليس بالقصر ولا يعرف أحد مكانه . فهل لغياب (سموه) فى هذه المناسبة الدقيقة معنى معين ؟ وإذا صح أن كان لغيابه ما قد يتبادر إلى الذهن من المعانى ، فما عسى تكون الاحتمالات المتوقعة لاحتجاجنا على الإنذار البريطانى وعدم قبولنا إياه ؟

جعلت أدير مثل هذه المسائل فى رأسى ، وأنا أنتظر الساعة التاسعة وما قد تتمخض عنه . والحق أنها كانت لحظات دقيقة فى حياتى لم أواجه مثلها من قبل أبداً . وتساءلت فيما بينى وبين نفسى ، عن خاطر مرَّ بذهنى فى أثناء اجتماعنا ، ثم استبعدته لفورى مخالفة أن أتهم بأن اعتباراً شخصياً هو الذى أملاه علىّ : أكنت على حق فى استبعاده ؟ ذلك أننى فكرت فى أن يرفض الملك استقالة حسين سرى (باشا) وأن يبلغ السفير أن الوزارة القائمة باقية فى الحكم فلا محل لتأليف وزارة جديدة . لكنى خشيت ، وأنا وزير مع سرى (باشا) ، أن يقال إننى أبديت هذا الاقتراح حرصاً على بقاء وزارة أنا من أعضائها ؛ وزاد فى خشيتى أن مثل هذا الاقتراح لم يبده أحد من الحاضرين الذين ليسوا أعضاء فى الوزارة مثلى . مع ذلك عدت أسأل نفسى : ترى لو أننى قدمته ودافعت عنه ، ولم أقم للاعتبار الشخصى وزناً ، ولو أن هذا الاقتراح قبل من هيئة المجتمعين ، أفما كان يضع النحاس (باشا) ويضع السفير فى وضع دقيق ؟

ولعلى كنت أظل يعاودنى الأسف أن لم أعرض هذا الاقتراح لولا أن أخبرنى على (باشا) الشمسى من بعد ، وكان يجلس إلى جانب رئيس الديوان ، أنه عرض عليه هذا الاقتراح فيما بينه وبينه ، فكان جواب رئيس الديوان : إنه لا يحل الموقف ولا يتخطى بنا الأزمة . ولهذا أمسك الشمسى (باشا) عن عرضه ، ولم يبق بعد ما يوجب تثريبى على نفسى أن لم أتقدم به

وإننى لأفكر فى هذا الأمر ، وفى غيره من الأمور ، إذ دق التليفون وتحدث إلى من أخبرنى أن الدبابات الإنجليزية حاصرت قصر عابدين من كل جوانبه ، ثم دق التليفون مرة أخرى وعلمت أن قوات بريطانية ضخمة وقفت فى الطريق المؤدى من ثكنات الجيش المصرى بألماظة إلى القاهرة لتمنع أية قوة مسلحة مصرية من دخول العاصمة . ودق التليفون مرة ثالثة ومرة رابعة وفى كل مرة يذكر محدثى نبأ جديداً عن هذه الحركات العنيفة التى تقوم بها القوات البريطانية ، والتى أشاعت فى العاصمة الذعر والفزع .

وتتالت الدقائق وكل واحدة منها تتمخض عن نبأ جديد .

وأثارت هذه الأنباء المتعاقبة فى نفسى ما كان يذكره لى حسين سرى (باشا) من مخاوفه . لكننى ظننت أن مثل هذه المخاوف إن تحققت لم يكن بعد ذلك ما يقتضى ذهابنا إلى القصر فى تلك الليلة الليلاء . وما فائدة ذهابنا إلى القصر إذا غادره صاحبه ؟ وكيف نستطيع الذهاب إليه وهذه القوات البريطانية التى تحاصره ستحول بيننا وبينه ؟

وإننى لفى هذا المضطرب الفكرى ، إذ دق التليفون وتحدث إلى من دعانى للذهاب إلى القصر . وسألت محدثى : أما تزال القوات البريطانية محيطة به ؟ فقال كلا ؛ بل انسحبت أو هى بسبيل الانسحاب . وكذلك جاءت هذه القوات بليل وذهبت بليل . لكن مجيئها وذهابها جعل هذا الليل أشد سواداً من كل ليل عرفته .

وذهبت من فورى إلى القصر فألفيت بعض زملائى سبقنى إليه ، كما لحقنى بعضهم . لكن النحاس (باشا) لم يحضر إلا بعد نصف ساعة أو نحوها من وصولى . وفى هذه الأثناء كنا نتبادل الحديث فيما وقع ، ويروى كل منا ما سمع من أنبائه . لقد اقتحمت دبابة بريطانية الباب الخارجى الحديدى للقصر ودخلت فناءه . وقد صعد السفير البريطانى ومعه قائد القوات البريطانية ، تتبعهما قوة مسلحة من الجنود فى يدهم مسدساتهم قد شهروها ، ودخل السفير والقائد على الملك فى غرفة مكتبه ومعه رئيس ديوانه ، وتحدثوا إلى الملك وتحدث هو إليهم ، ثم عادا أدراجهما بعد أن ذكر لهما أنه سيكلف النحاس (باشا) بتشكيل الوزارة . عرفت من بعد أن الملك ووالدته ورئيس الديوان اجتمعوا وفكروا كيف يواجه الموقف إذا جاءت قوات بريطانية إلى القصر تريد تنفيذ الإنذار وأنهم وضعوا الخطة التى يتبعها الملك ، وأن هذه الخطة نفذت تنفيذاً دقيقاً . لكن أحداً لم يكن يعلم من ذلك شيئاً ، ولم يكن يعلم كيف تتابعت الحوادث . لقد شهد بعضنا منها جانباً ، وشهد البعض جانباً آخر . فأما مجموعها فلم ترتسم صورته أمامنا فى هذا الوقت ، لأن الجزء الأهم منها ، وهو ما حدث داخل

القصر ، وما حدث بين الملك وبين السفير وقائد القوات البريطانية كان مغيباً علينا ، ولم يكن فى مقدورنا فى تلك الساعة أن نعرفه أو أن نحكم عليه .

ولست أستطيع اليوم أن أرسم صورة ما حدث كما يرسمها شاهد عيان . فما سمعته من بعد لا يعدو تصوير أجزاء من المأساة يجب على من يريد أن يجمعها أن يقف على مقدماتها ، وأن يعرف الخطة المرسومة وكيف نفذت . وأعترف بأننى لا أعرف ذلك إلى اليوم ، ولم أعنّ نفسى بالوقوف عليه وقوفاً دقيقاً فى يوم من الأيام . فأما الحالة النفسية التى أشاعتها المأساة فى نفوسنا فكانت حالة فزع لم يخفف منه أن علمنا أن الملك بالقصر ، وأنه هو الذى أمر بدعوتنا لنعود إلى الاجتماع . فقد اهتزت أعصاب الكثيرين لدى سماعهم بتحرك القوات البريطانية وإحاطتها بالقصر ، وبلغ من بعضهم أن لم يملك عبرته . وكنت تلمح هذا الأثر على الوجوه صريحاً . فقد كانت الصدمة بالغة غاية العنف ، إذ أصابت عرش مصر ، وصاحب هذا العرش ، وأصابت استقلال مصر ، وكرامة مصر ، وسيادة مصر . ولو أن إنجلترا كانت فى حالة حرب مع مصر ، وكانت منتصرة عليها ، لما قست فى معاملة شعبها وملكها هذه القسوة .

وقد تواترت الأنباء من بعد بأن السفير قدم إلى الملك حين دخل مكتبه ، والجنود شاهرة مسدساتها على باب الغرفة ، ورقة تنازل عن العرش ، وطلب إليه توقيعها . وتلا الملك الورقة ثم نظر إلى قائد القوات البريطانية المصاحب للسفير ، وكان الجنرال ستون الذى خدم فى الجيش المصرى سنوات طويلة وقال له : كنت أود لو أنك كنت الساعة لا تزال فى خدمة جيشى ؟ ثم قال للسفير : إننى مستعد لتوقيع هذه الوثيقة التى قدمتها إلى ؛ وأنت توافقنى على أنها وثيقة تاريخية خطيرة ، فليس يجوز أن تكتب على ورق عادى كهذا الورق المكتوبة عليه . فيحسن أن أكلف من يكتبها على ورق لائق بأن أضع توقيعى عليه . وعجب السفير لهذا الهدوء الذى يبديه ملك شاب يطلب إليه بقوة السلاح أن يتنازل عن عرشه ، وأرتج عليه القول فلم يجد ما يجيب به . وانتهز الملك الفرصة فقال : وهل لى أن أسألك عن السبب الذى دعا لكتابة هذه الورقة ؟ لقد كلفت النحاس (باشا) منذ أمس أن يؤلف وزارة قومية ، اقتناعاً منى بأن تأليف وزارة قومية فى الظرف الحاضر يكفل سلامة مصر بوصفها قاعدة حربية أكثر من قيام وزارة حزبية . وكنت أحسب هذا يحقق المصلحة التى تبغيها إنجلترا . فأما إن أصررتم على أن يؤلف وزارة حزبية فسأكلفه كطلبكم بتأليف هذه الوزارة . عند ذلك لم يجد السفير محلا للإصرار على ما طلب فانسحب وانسحب قائد القوات البريطانية معه ، وصدرت الأوامر إلى القوات المحاصرة بالعودة إلى قواعدها سالمة .

تواترت الرواية من بعد بأن ذلك يصور ماحدث بين الملك والسفير البريطانى ، على أنا لم نكن نعلم منه شيئاً حين عدنا إلى القصر وجعلنا نتبادل الحديث فى انتظار عودة النحاس (باشا) .

وأقبل النحاس (باشا) فأمسكنا عن الكلام . وشعرت بفتور وبرد يسرى فى جو قاعة مجلس البلاط حيث كنا مجتمعين ، وكأنما امتلأ الجو بأشباح هذه الدبابات التى تحيط بالقصر منذ قليل . فلما علم الملك أن جمعنا اكتمل دخل إلينا وجلس فى صدر المكان وجلس كل منا حيث كان فى اجتماعنا الأول ، ثم وجه الملك الكلام إلى النحاس (باشا) قائلا : إننى أكلفك يا نحاس (باشا) بتأليف الوزارة ، وأطلب إليك أن يكون حكمك قومياً لا حزبياً ، كما أطلب إليك حين انصرافك من هنا أن تمر بالسفارة البريطانية فتبلغ السفير بأننى عهدت إليك بتأليف الوزارة . وأخذ النحاس (باشا) لدى سماعه هذه العبارة الأخيرة وقال : إننى أتلقى الأمر من (جلالتكم) بتأليف الوزارة ، ولا أرى ضرورة لإبلاغ السفير هذا الأمر . فكرر الملك : لكننى أرى ضرورة فى أن تمر بالسفارة وتبلغ السفير ما طلبت إليك أن تبلغه إياه .

عند ذلك قال الدكتور ماهر (باشا) موجهاً القول إلى النحاس (باشا) : إنك يا نحاس (باشا) تؤلف الوزارة على أسنة الحراب البريطانية بعد أن رأيت الدبابات بعينى رأسك . وهنا اعترض الملك قائلا : بل أنا الذى أكلفه بتأليف الوزارة . وقال النحاس (باشا) : أنا لم أر دبابات ولا حراباً ، وأنا أؤلف الوزارة بأمر (جلالة) الملك . وبعد هنيهة كرر : نعم ، أنا لم أر دبابات ولا حراباً . فقال إسماعيل صدقى (باشا) : نعم يا باشا ، إنك جئت متأخراً بعد أن انصرفت الدبابات حتى لا تراها . أما نحن جميعاً فقد رأيناها ساعة جئنا إلى القصر .

وساد على أثر ذلك صمت وقف الملك بعده فوقفنا فودعنا منصرفاً إلى داخل القصر . وخرجنا متفرقين ، وذهبت إلى نادى محمد على وقضيت به مع بعض من حضروا هذه المأساة إلى ساعة متأخرة من الليل . وجفا النوم تلك الليلة مضجعى إلى مطلع الصبح . وقرأت صحف الصباح ألتمس تصويراً ولو موجزاً لما حدث ، فإذا الرقابة قد منعت نشر أى شىء عنه أكثر من أن الملك عهد إلى النحاس (باشا) بتأليف الوزارة الجديدة .

كان ذلك أمرى . أما النحاس (باشا) فمر بالسفارة البريطانية فأبلغ السفير ما حدث ، ثم دعا كبار أنصاره ممن قدر أنهم سيشتركون معه فى الوزارة يتداول وإياهم الرأى . وأكبر

ظنى أن أمين (بك) عثمان قد اشترك فى هذا الاجتماع أو كان على اتصال وثيق به . فقد كان أمين (بك) هو ضابط الاتصال بين السفير والنحاس (باشا) . وصلة أمين (بك) بالسفير وبالنحاس (باشا) فى أثناء المفاوضات التى جرت لعقد معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وقيامه فى هذه المفاوضات بوظيفة السكرتير العام ، قد أتاحا له من الأسباب لتوثيق هذا الاتصال ماسمح له بأن يقابل النحاس (باشا) فى محطة العاصمة حين عودته من الأقصر صبح اليوم الثالث من فبراير ، قبل مقابلة (رفعته) الملك فاروق بعد ظهر ذلك اليوم للتشاور فى الموقف الذى نشأ عن استقالة سرى (باشا) .

ترى أحمل أمين (بك) إلى النحاس (باشا) رسالة من السفير فى هذه المقابلة بمحطة العاصمة ؟ وهل هذه الرسالة هى التى دفعت النحاس (باشا) إلى أن يرفض ماعرضه عليه الملك من تأليف وزارة قومية ؟ أو أن النحاس (باشا) كان على علم بخطة السفارة من قبل أن يلقاه أمين (بك) عثمان ، وكان على علم بها وهو بالأقصر ؟ أم تراه كان صادقاً حين ذكر فى أول الاجتماع الذى عقد بعابدين أنه لم يكن يعلم شيئاً مما أدى إلى الإنذار البريطانى ؟ ليس من غرضى أن أستنتج شيئاً . وإنما أروى ما شهدته وما عرفته ، وأدع للتاريخ أن يصدر بعد ذلك حكمه .

جمع النحاس (باشا) كبار أنصاره ممن قدر اختيارهم معه فى الوزارة وأخذ يتبادل وإياهم الرأى . ولست أزعم أننى عرفت مادار بينهم . لكن الذى لا ريب فيه أن رئيس الوفد قد طالعهم بكل ما حدث فى اجتماع القصر يومى ٣ و٤ فبراير ، وذكر لهم أن الملك عرض عليه تأليف وزارة قومية ، وأنه رفض هذا العرض ، وأن الإنجليز وجهوا إنذارهم إلى الملك بأنه إذا لم يعهد إلى النحاس بتأليف الوزارة قبل الساعة السادسة من مساء يوم ٤ فبراير فإن الملك يتحمل شخصياً تبعة تصرفه ، وأن رئيس ديوان الملك تلا على الذين اجتمعوا بقصر عابدين الرسالة الملكية التى تلاها ، وأن المناقشات تناولت ما سبق أن ذكرناه ، وأن المجتمعين انتهوا إلى قرار بأن الإنذار البريطانى يعتدى على سيادة مصر واستقلالها ولذلك لا يمكن قبوله ، وأنه هو – النحاس (باشا) – وقع هذا القرار معهم . أفيقبل كبار أنصاره وقد سمعوا منه كل هذا أن يشتركوا معه فى وزارة تؤلف فى هذا الجو ؟ أم ترى يجب اتخاذ إجراء جديد يواجهون به الرأى العام المصرى ؟

جرت هذه المداولات فى ليل ٤ فبراير . وكان من أثرها أن رأى المجتمعون أن يتبادلوا مع السفارة البريطانية خطابات تقول السفارة البريطانية فيها إن إنجلترا لا تتدخل فى شئون

مصر الداخلية . ولم تر السفارة بطبيعة الحال بأساً من إجابة هذا الطلب ، مادام الإنذار الذى وجهته إلى الملك يستمر تنفيذه ، فيؤلف النحاس (باشا) الوزارة كما أرادت . فأما أن يؤدى تبادل الخطابين إلى أن يعتذر النحاس (باشا) عن تأليف الوزارة ، فذلك ما لم يدر بخاطر السفير ولم يدر بخاطر النحاس (باشا) وأصحابه . وعلى ذلك تبودل الخطابان الآتى نصهما ؛ فقد كتب النحاس (باشا) إلى السير ما يلز لامبسون ما يأتى :

يا صاحب السعادة .

لقد كلفت بمهمة تأليف الوزارة وقبلت هذا التكليف الذى صدر من (جلالة) الملك بما له من الحقوق الدستورية ، وليكن مفهوماً أن الأساس الذى قبلت عليه هذه المهمة هو أنه لا المعاهدة البريطانية المصرية ، ولا مركز مصر كدولة مستقلة ذات سيادة ؛ يسمحان للحليفة بالتدخل فى شئون مصر الداخلية ، وبخاصة فى تأليف الوزارات أو تغييرها .

وإنى أؤمل يا صاحب السعادة أن تتفضلوا بتأييد ما تضمنه خطابى هذا من المعانى وبذلك تتوطد صلات المودة والاحترام المتبادلين وفقاً لنصوص المعاهدة .

وتفضلوا يا صاحب السعادة بقبول فائق احترامى

٥ فبراير سنة ١٩٤٢ مصطفى النحاس

ورد السير مايلز لامبسون على مصطفى النحاس (باشا) بما يأتى :

يا صاحب المقام الرفيع .

لى الشرف أن أؤيد وجهة النظر التى عبر عنها خطاب رفعتكم المرسل منكم بتاريخ اليوم ، وأن أؤكد لرفعتكم أن سياسة الحكومة البريطانية قائمة على تحقيق التعاون بإخلاص مع حكومة مصر كدولة مستقلة وحليفة فى تنفيذ المعاهدة البريطانية المصرية من غير أى تدخل منها فى شئون مصر الداخلية ولا فى تأليف الحكومات أو تغييرها .

وإننى لأنتهز هذه الفرصة لأؤكد لرفعتكم فائق احترامى

٥ فبراير سنة ١٩٤٢ مايلز لامبسون

* * *

وتألفت الوزارة على أثر ذلك وصدر المرسوم بتأليفها على الوجه الآتى :

(حضرة صاحب المقام الرفيع)	مصطفى النحاس باشا	للرياسة والداخلية والخارجية
(حضرة صاحب المعالى)	عبد السلام فهمى جمعة (باشا)	للزراعة
« « «	على زكى العرابى (باشا)	للمواصلات
« « «	أحمد حمدى سيف النصر (باشا)	للدفاع الوطنى
« « «	عبد الفتاح الطويل (باشا)	للصحة والشئون الاجتماعية
« « «	مكرم عبيد (باشا)	للمالية والتموين
« « «	على حسين (باشا)	للأوقاف
« « «	محمد صبرى أبو علم (باشا)	للعدل
« « «	أحمد نجيب الهلالى (باشا)	للمعارف

وفى صبيحة اليوم السادس من فبراير ، ذهب رئيس الوزراء إلى دار الرياسة ، وذهب الوزراء إلى مكاتبهم ، فإذا العاصمة تستقبل هذه الوزارة بمظاهرات الغبطة والابتهاج ، وكأن لم يكن إنذار بريطانى ، وكأن لم تكن مأساة ٤ فبراير ، وكأن لم يناد واحد فى المظاهرات التى سارت قبل ذلك بأيام : لتسقط إنجلترا ، أو : تقدم يارومل ، وكأن لم تذهب هذه المظاهرات إلى دار السفارة البريطانية تنادى بعبارات نابية ضد صاحب الجلالة البريطانى . عند ذلك تصورت السفير البريطانى وقد جلس إلى مكتبه مبتسما يردد كلمة الخليفة الإسلامى الثانى : « هان أمر أصلح به قوماً أن أبدلهم أميراً مكان أمير ! ! » .

وبدأت الوزارة من ذلك اليوم عملها ، واغتبط النحاس باشا وأنصاره فى طول البلاد وعرضها أشد الاغتباط .